العرب
الثلاثاء 2020/08/04
السنة 43 العدد 11779

# «الغسالة».. فيلم هزيل بأفكار مُستنسخة يحقق إيرادات مرتفعة

## العرض الجماهيري كسر عقدة كورونا وفتح الباب لمزيد من الأعمال السينمائية

لا يعنـي الإقبـال الجماهيري علـى العمل الفني أنه جيّـد أو مُتميز على المسـتوى الفني، فالإيرادات المرتفعة للفيلم تُمثل في أغلب الأحيان مؤشرا على نمط من الأعمال الفنية الجذابة جماهيريا، ولا تؤكد بالضرورة جودتها الفنية. وهو ما نلاحظه من فيلم "الغسالة".

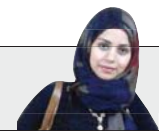

حنان عقيل
كاتبة مصرية

وفي ظل أزمة وبـاء كورونا وتأثيره السـلبي علـى شـتى القطاعـات، بما فيهـا السـينما المصريـة التـي تأجل فيهـا تصويـر العديد من الأعمـال، قد تكـون الإيرادات المُرتفعـة لأحد الأفلام دليلاغيـر كاف علـى إعجـاب النـاس بالعمـل، لأنـه غالبـا تأتـي تعبيرا عن شوق جماهيري للسينما في ظل انعدام الخيارات الأخرى، وبعد فترة طويلة من العطش للسينما والمسرح، وكل الفنون التي تأثرت بالجائحة.

حبكة فيلم «الغسالة» تعتمد على فكرة السفر عبر الزمن، بالرجوع إلى الماضي أو القفز إلى المستقبل

غابـت المنافسـة فـي الموسـم السـينمائي خلال عيد الأضحى ليكون الفيلم المصري "الغسالة" الذي كتب له السيناريو عادل صليب، وأخرجه عصام عبدالحميد، وشـارك في بطولته كل من محمود حميدة، أحمد حاتم، هنا الزاهد، أحمد فتحي، بيومي فؤاد، الفيلم الجديد الوحيـد المطـروح فـي دور العـرض السـينمائية مع عدد محدود من الأفلام القديمة، ما أدى إلى ارتفاع إيراداته في اليوم الأول لطرحه لتفوق مليون جنيه، على الرغم مـن أن حبكته الفنية لم تكن متقنة، بل جاء هزيلا في نظر الكثير من النقاد.

تكمن أهميـة ارتفاع الإيـرادات في أن دور العرض السـينمائي في مصر لا تعمل بكامل طاقتهـا، فلظروف التباعد الاجتماعـي والإرجـاءات الاحترازية لا تعمل سـوى بـ25 في المئـة من قدرتها الاستيعابية.

### السفر عبر الزمن

تعتمـد حبكة فيلم "الغسـالة" على فكرة السـفر عبر الزمـن، بالرجوع إلى الماضي أو القفز إلى المسـتقبل، وهي الفكرة التي قُدّمت على نحو واسـع في أفلام الخيال العلمي الغربيّة والروايات العالميـة عبـر عـدد مـن التصـورات المُختلفة منذ القرن التاسع عشر، لكنها تُحاك في هذا الفيلم بقدر من العشوائية والاستسهال وغياب الفكر.

ويجسـد أدوار الحاضـر كل مـن الفنـان الشـاب أحمـد حاتم فـي دور البطل "عمر" الأستاذ الجامعي في قسم الفيزيـاء بالجامعـة، والفنانة الشـابة هنا الزاهد، الأسـتاذة في قسم الحيوان بكلية العلوم فـي دور "عايدة"، والفنان محمد سـلام، الأسـتاذ في قسم النبات، فـي دور "سـامح"، وهم الشـخصيات الثلاثة الذين ينتقلون عبر الزمن لتغيير الماضـي والتحكـم في المسـتقبل من خلال "الغسالة" التي اخترعها "عمر".

الهدف العام والدافـع نحو اختراع "عمـر" لآلة الزمـن هو إصـلاح أخطاء الماضـي لتغيير المسـتقبل، لكنه عبر أحـداث الفيلـم لا يتجسـد سـوى في هدف واحد وهو منع زواج "سامح" من "عايدة" وإقناعها بالزواج من "عمر".

ليسـت المشـكلة الأساسـية فـي حبكـة الفيلم، وهي الفكرة المسـتوردة التي باتت بدرجة ما مُسـتهلكة بسـبب الاستنسـاخ الـرديء لها، لكـن في ذلك القـدر مـن الاستسـهال فـي الكتابـة وعـدم احتـرام عقلية المشـاهد والزج بالكوميديا لتقديم عمل غير مُقنع فنيا.

نحـن لم نعـرف كيف أمكـن للبطل أن يجعل من الغسـالة آلة للانتقال عبر الزمن وماذا كانت دوافعه الأولى للعمل علـى تجاربه المتكـررة بهـذا الصدد، والتي جعلته يحتمـل الإخفاق المتكرر للتجربة، وما منطقية أن تتم كل عمليات الانتقـال عبـر الزمن بكل يُسـر لكل من يدخل الغسـالة، وكيف استطاع الجميع الحيـاة في الماضي لأيـام متتالية دون مواجهة صعوبات تُذكـر، وغير ذلك من الأسئلة.

إذا كان الهدف من التنقل عبر الأزمنة في الفيلم إقناع "عايدة" بحب "عمر" لها ومنع زواجها من "سـامح"، فإن تحقيق الهـدف في الفيلم قـد تحقق عبر طريقة سـاذجة، فبعـد المحـاولات الفاشـلة لإصـلاح حـوادث الماضـي التـي كان هدفهـا الرئيس هو "الإضحاك"، يتحقق الهدف بعد عدد من مشـاهد "الأكشـن" مـن خـلال ضـرب وتقييـد "سـامح" بنسـخه الثلاث في الماضي والحاضر والمسـتقبل في الكرسي، لينتقل "عمر" إلـى الحاضر مـرة أخرى ويتـزوج من "عايدة"، ما يُثبت ذلك القدر من التسـرع فـي الكتابة وعدم صياغة مشـاهد تقوم على حبكة مُتقنة أو مُقنِعة.

رغـم أن الفيلم انسـاق وراء الرغبة في الإضحـاك على حسـاب المضمون أو الحبكـة الفنيـة المتقنـة، فـإن تلك الكوميديا المُقدمة قامت على اسـتهلاك أفكار تقليدية للإضحاك، مثل السـخرية مـن مظهر الشـخص الشـاب المُختنق في ملابـس ومظهر غير جـذاب، أو من أسـلوبه ولهجته في الكلام أو مشكلات النطق كما هو الحال لدى "سـامح" في شكله المستقبلي.

### التعطش للسينما

كذلك من خلال التلميحات الجنسية والتورية الساخرة، قد يكون كل ذلك من شأنه أن يحقق كوميديا ناجحة، إن كان مـا يحكمه هـو الموقـف الدرامي، لكن التركيز على النـكات بمعزل عن العناية بالسـياق والمعنـى الدرامـي أضـاف المزيد من الخلل على العمل السينمائي.

وإن كان الفيلـم ارتكـز لنقـاط قوة الفنـان الكبير محمـود حميدة بتاريخه السـينمائي الثـري، والـذي قـام بدور "عمر" في المسـتقبل، والفنانة شـيرين رضـا التي ظهرت في مشـاهد محدودة بنهايـة الفيلـم فـي دور "عايـدة" بالمسـتقبل، فـإن قـوة الأداء التمثيلي لهما ولفنانين آخرين شاركوا في بطولة العمـل ليس كافيا لتجـاوز وهن الفيلم ومشكلاته لاسيما أن أداء البطلين أحمد حاتم وهنا الزاهد لم يكن على مسـتوى المقبولية الفنية.

كمـا أن تجسـيد الشـخصيات جاء على درجة كبيرة من السـطحية ما جعل كل مـا هـو معروف عن الأبطـال هو ما كُتب على الشاشة دون أن تُمنح مساحة كافية عبر أحداث الفيلم لتأكيد صفاتهم المذكورة أو توضيح ملامحهم.

في أغلـب الأحيان، قد يلجـأ الفيلم هزيـل الحبكة إلـى نهايـة توضيحية أو علـى الأرجح تبريريـة، وهو ما فعله مخرج فيلـم "الغسـالة" لتأتـي نهاية الفيلم بمشهد للفنان محمود حميدة بعد مرور عشـرين عاما يقول فيها: "محدش يقدر يغير القدر، لكن نقدر نصلح غلطات زمان، نقـرب من بعض، سـاعاتها بس ممكن الحب ينتصر"، وهي الجملة التي لم تقد إليها أحداث الفيلم، نظرا لارتباكه بيـن الرغبـة فـي إضحـاك المشـاهد وصياغة معنى ومنطق ملائم.

ميـزة الـرواج الـذي حققـه الفيلم فـي الأيام الأولى لعرضـه، أنه قد يفتح الطريـق أمام بعـض المنتجين للإفراج عن أفلامهـم الموجودة في العلب خوفا مـن التأثيـرات السـلبية لكورونا على حضـور الجمهور، وعو ما يعني كسـر العزلة المفروضة، والتعايش مع الوباء بصورة كبيرة، وعودة الحياة الفنية إلى طبيعتها.

يحسـب لفيلـم "الغسـالة" جـرأة المنتـج ورهانـه على أن جمهـور عيد الأضحى المتعطش لرؤية سينما جديدة تشـعره بأن الأمور الحياتية تسير إلى الأفضـل، وربمـا يكـون الإسـراف في النـكات كان الغرض منـه محاولة جذب الجمهـور وإحياء صناعـة كادت تتأثر بقوة بسبب كورونا.

استهلاك أفكار تقليدية للإضحاك

# الثورة التونسية قد يحدث لها ما حدث لثورة صاحب الحمار

تونس – يحكي الفيلم الروائي الطويل "قيـرة" (حـرب) للمخـرج السـينمائي التونسي الفاضل الجزيري في 115 دقيقة رحلة داعية اسمه "بوزيد" ادعى محاربة الظلم وتحول إلى طاغية متعطش للدماء، وهذه الشخصية هي انعكاس لقصة أبي يزيد بن خويلد الكدادي المعروف باسـم "بوزيـد صاحب الحمار"، ولكن الجزيري أخرجها من ثوبهـا التاريخي ليؤقلمها مع طبيعة الواقع التونسي الراهن.

ويشـارك في أحـداث هذا الشـريط ثلة من الممثلين التونسـيين على غرار طاهر عيسـى بالعربي وسـامي نصري وسارة الحناشـي وآمنة الجزيري ومعز بن طالب وعلي الجزيـري ومحمد كوكة وأكرم بوقرين وهيثم الحضيري.

صور قاتمة ومشـاهد عنيفة للتعبير عن معنـى "القيـرة" أو "الحرب"، حيث يلاحـظ المشـاهد اهتمامـا بالغـا من المخـرج بهذه الصـور والمشـاهد في الفيلم، إذ بدت قاتمة سـوداوية لتجسد معاني الحرب بمختلف ملامحها الدامية من عنف ورعب وتعذيب مادي ونفسـي ومأساة إنسانية.

وقد لعب المخرج فـي الصورة على متناقضيـن اثنيـن هما ثنائيـة الضوء والظلمـة فـي آن واحد، وقد شـكلتهما النوافـذ والممـرات داخـل الكهـوف والأماكـن المغلقة وفـي الممرات، لتبرز الممارسة السياسية البشعة من ناحية، ومـن ناحية أخرى لتسـلط الضوء على المؤامرات والدسـائس التـي تحاك في هذه الغـرف المظلمة إلى حد ممارسـة كل أشـكال التعذيب على الآخر من أجل البقاء في السلطة.

كمـا لعبـت الصـورة القائمـة على ثنائيـة الضوء والظلمة دلالات أخرى في الفيلـم، فالظلمـة موظفة بإحـكام لتعبر عن الظلم والاسـتبداد والطغيان والفقر، وأما الضوء فهو فسحة أمل للتخلص من الاستبداد وللتحرر والانعتاق.

وليست قتامة الصورة وحدها معبرة عن معنـى "القيرة"، إذ غابت المشـاهد العامة عـن الفيلم، أو اللقطـات البعيدة كما يصطلح تسـميتها في لغـة التقنية السـينمائية، واقتصرت على المشـاهد القريبـة حتـى تكـون مقاصدهـا وفية لمعانـي الحرب ورمزيتها من عنف وقتل ودماء ودمار وفوضى.

أما في ما يتعلـق بالأماكن والتاريخ والشـخصيات وعلاقتها بالواقع فتدور أحـداث "قيـرة" فـي ثلاثـة أماكـن لها رمزيتهـا هي "معلم القصبـة" بمحافظة الكاف شـمال غرب تونس، الذي شـيده العثمانيون سـنة 1600 ميلادي، و"مائدة يوغرطـة" ذاك المرتفع الـذي احتمى به القائـد النوميدي يوغرطة مـن الرومان، وجامع عقبة بـن نافع بالقيروان ورمزية هذه المدينة كمهد للحضارة الإسـلامية، وأما الزمان فهو الواقع التونسي الراهن وتجلى ذلك من خلال ملابس الشخصيات والأسـلحة المسـتخدمة والسـيارات العصريـة ووسـائل الاتصـال الحديثة والرقمية كالهاتف الجوال والإنترنت.

وأوجـد الجزيـري خيطـا رفيعـا بين هـذه الأماكن برمزيتهـا التاريخية والشـخصيات وقصـة "ثـورة صاحب الحمـار" فـي تشـابه الأحـداث والشـخصيات مـع الواقـع الحالـي، فأسـباب قيـام ثـورة صاحـب الحمار وتداعياتهـا أوردها المخـرج في حركة تقاطع إلى حد ما مع أسـباب قيام ثورة 2011، ولذلك ينبّه من فشل ثورة 2011 كما فشلت ثورة صاحب الحمار.

ووظف المخرج اللقطات القريبة في الفيلم ليغوص في أعماق الشـخصيات ويبرز بشـاعتها في إدارة شؤون الدولة التي تحكمها المصالح الذاتية الضيقة، وتـوزع فيهـا المناصب اسـتنادا إلى القرابـة الدموية لا إلى الكفـاءة، وفيها أيضا استغلال لأجهزة الدولة وتوظيف لقضائهـا، وهـي من عوامل استشـراء الفساد والسرقة وغياب العدل وانتشار الظلم وتفاقم الفقر والجوع.

والصـراع بين شـخصيات "قيرة" نوعان: الأول بين السياسـيين والشعب المطالـب بالعيـش الكريـم، والصراع الثاني بين الأطياف السياسية الحاكمة التي تحيك الدسـائس لبعضها البعض للانفراد بالسـلطة. ففي السلطة لا مكان للقيم الإنسـانية ولا مجال للاسـتقامة والوفاء، فمن أجل الحفاظ على الحكم قد يضحي الحاكـم بأقرب الناس إليه وهم أبناؤه.

حضـور المرأة في هـذا العمل جاء محمـلا بالـدلالات العميقة والرسـائل المباشـرة، فقـد خلصهـا الجزيري من القيود الذكورية المسـلطة عليها، فبدت الشخصيتان الرئيسيتان آمنة الجزيري وسـارة حناشـي أكثر عنفـا حتى من الرجـال أنفسـهم، تحيكان الدسـائس وتتلاعبان من أجل الحصول على منافع ذاتية، فلا مكان للحب وللقيم الإنسانية في السـلطة، ولكن النقطة المضيئة في المـرأة هي أن المخرج جعل شـخصية الحاكـم الدكتاتـور "بوزيـد" يلقى حتفه علـى يد امرأة، لتنطلـق على إثر ذلـك حيـاة سياسـية جديدة قـد يلقى الحاكم فيهـا المصير نفسـه إذا طغى وعاث فسادا.

فيلم «قيرة» يخوض في التفاصيل الخفية عندما تُدار السياسة والدسائس في الغرف المظلمة وتعم الفوضى

صورة قاتمة عن واقع عنيف